سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٧٤)

واجبنا نحو العلماء

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر



الشيخ لم يراجع التفريغ


واجبنا نحو العلماء
00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer9@gmail.com



(٧٤)

واجبنا نحو العلماء



لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ، وأشهدُ أنَ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، واشهد أنَ محمدًا عبده ورسولهُ، والهادي إلى سبيلهِ، صلواتُ اللهِ وسلامهِ عليهِ وعلى آله وأصحابهِ وسلم تسليمًا كثيرا.

ثُمّ أمّا بَعْدُ:

فإنَّ حديثنا اليوم فيما يتعلقُ بواجبنا تجاه علمائنا، وقبل الحديثِ عن واجبنا إتجاههم، نعرضُ مقدمتينِ منْ أولى هاتينِ المقدمتينِ في بيان من هوَ العالمُ الذي تتجهُ له هذهِ الحقوق؟ وتتوجب نحوه، إذا ليس كل معلم بفقيه، وليس كل متصدرٍ ومنْ على منبراً فإنهُ يكون عالما، ولذا بينَ نبينا ﷺ أنَ في آخر الزمان يتخذُ الناسُ رؤوسًا جهالاً، فُيسألونَ فيفتونَ بغير علمٍ فيضلونَ ويُضلونَ، وفي غير ما حديث عنْ النبيِ ﷺ بين أنه يكثر في آخر الزمان القراء، ويقل الفقهاءُ وهذا منه ﷺ بيانُ إلا أن ليس كل مصدر بعالم ولا كل من تحدث بفقيهٍ، وإنما لكل من ذلك معيار لابدَ منْ معرفتهِ، وقدْ ذكرَ أهل العلمِ في ذلكَ معايير متعددة، ومنْ أهمها أوصافٌ ثلاثة:

❁ **الوصف الأول**: أنَ يكونَ هذا الرجل المنسوب للعلمِ أنْ يكونَ عالما بالوحيينِ كتابِ الله وسنةِ النبيِ ﷺ .

❁ **الوصف الثاني**: أن يكون أطال الممارسة والمتابعة والمدارسة لهذينِ الأصلين العظيمينِ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

❁ **الوصف الثالث**: أن يُشهد لهُ بالعلمِ بهما.

أيها الإخوةُ الأكارمْ!!

إن أصلَ العلمِ إنما هوَ كتابُ اللهِ وسنةِ الرسولِ ﷺ ، ومهما ابتغى المرء الهدى والعلمُ والفلاحُ من غيرهما؛ فإنهُ لا نجاة له ولا فلاح ولا فوز ولا نجاح، فمهما ابتغيتمْ الهدى في غيرهما فمنْ ابتغى الهدى مِنْ غيرهما أضلهُ اللهُ.

إذًا العلمُ بالحقيقة: هوَ العلمُ بالكتابِ والسنةِ وما تفرعَ عنهما، والعلمُ بهما هوَ يكونوا بحفظهما وفهمهما ثمَ العملِ بهما، ولذلك قالَ أبو عبدِ الرحمنْ السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلميذُ الصحابةِ وابن الصحابةِ، فإنَ أباهُ وأمهُ كانَ منْ صحابة رسول اللهِ ﷺ ، قالَ أبو عبدِ الرحمنْ: «حدثنا الذينَ كانوا يقرؤننا من أصحاب رسول الله ﷺ ، أنهم كانوا لا يقرؤون عشرا من كتاب الله جل وعلا ويحفظونها حتى يعلموا ما فيها من الحلال والحرام، ثم يعملوا بها».

❁ **الأمر الأول:** في العالمِ لابدَ منْ أنْ يكونَ علمهُ منطلقًا منْ الكتابِ والسنةِ.

❁ **الأمر الثاني:** أنهُ لابدَ أنْ يكونَ قدْ أطال الممارسة والمدارسة والتعلم في هذين الأصلين، فليسَ كلُ منْ قرأَ كتاب أو حفظِ شيءٍ منْ كتابِ اللهِ جلَ وعلا فإنهُ يكونوا عالما، وقدْ أطالَ أهلَ العلمِ في تقريرِ هذا الأصلِ حتى عقدِ الرامهرمزي في كتابهِ «المحدثِ الفاصلِ» بابًا، في أن المرء لا يسم عالمٍ حتى يطيل في ذلك المكث.

❁ **الأمر الثالث:** أنهُ لابد أنْ يشهدُ لهُ بالعلمِ؛ ولذلك يقولونَ إنما يعلمُ الفضل أهلهُ، وقدْ قالَ مالكَ بن أنسْ إمام دارِ الهجرةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أفتيتوا حتى شهدَ ليَ خمسونَ، في مسجدِ رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أني أهلٌ للفتوى، قالَ ابنُ ناصرْ الدينْ الدمشقيِ: ولمْ يكنْ يتعممُ في ذلكَ الزمانِ إلا فقيه»، إذا هذه هي المعايير الثلاثة التي تعرفُ بها العلماءُ.

المقدمة الثانية: التي أريد أن أبينها وهي الواجب على العالم اتجاه الناس والمجتمعَ؛ فإنهُ يجبُ على العالمِ حقوق كثيرة، بل إن المرء كلما إزداد علمه كلما إزداد الحق عليه والواجبُ الذي يتحتمُ عليهِ أداؤهُ؛ لذلك أولُ من تسعرُ بهمْ النارُ يومَ القيامةِ، رجلٌ يقالُ لهُ قرأتْ كتابَ اللهِ، فيقولُ: نعمَ، قرأتْ كتابَ اللهِ؛ فيقالُ إنما قرأتْ كتابَ اللهِ ليقالَ عالمٌ، وعالمٌ بعلمهِ لمْ يعملًا معذبٌ في النارِ قبلَ عبادِ الوثن.

❁ **الواجب الأول:** أولُ ما يجبُ على العالمِ اتجاه الناسِ، بعد ما يجب إتجاه الله اتجاه الفرائض ومراقبة جلا وعلا، أنْ يعلمَ الناسُ الخيرُ، وأنْ يبذلَ لهمْ العلمُ الذي عندهُ؛ ولذلك قالَ أهلَ العلمِ إنَ العالمَ لايسمى عالمـًا إلا يكونَ باذلاً للعلمِ؛ لأنَ هذهِ ألالفاظ من ألفاظ التي تقتضي الاكتسابَ والبذلَ معًا، فلابدَ فيها منْ المشاركة عندِ الأخذِ وعندَ البذلِ.

❁ **الواجب الثاني:** أن يكون العالمُ ناصحًا ومبينا، فإن رأى خطأ بينهُ، وإنَ رأى نقصـًا تممه؛ وإنَ رأى عيبًا وضحهُ وأبانهُ؛ فالواجبُ على المسلمِ عمومًا ومنْ أوتيى حظًا منْ العلمِ خصوصًا في هذا البابِ عظيمٍ.

❁ **الواجب الثالث:** أنهُ يجبُ عليه جمع الكلمِ وعدمِ تفريقها، وخاصةً إذا نزلت النوازلُ واتت المداهماتُ؛ ولذلك يقولُ إبراهيم بن أدهمْ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنْ أشدَ ما يكونُ على الشيطانِ، العالمُ الحليمْ، الذي إذا تكلم، تكلمَ بعلمٍ، وإذا سكتَ سكتَ بحلمٍ، علمهُ في كلامهِ وعلمهِ أيضًا في سكوتهِ كذلكَ.

وأما ما يتعلقُ بموضوعِ محاضرتنا اليوم **«وهوَ ما هوَ واجبنا تجاهَ علمائنا»**، وأهل الفضلِ منا فيمنْ آتاهمْ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذا العلمِ؛ فإنهُ باب عظيم، وهوَ أمرٌ كبيرٌ، ولكن لعلنا نكتفي من القلادة بما أحاطَ بالعنقِ، وأنْ نذكرَ بعضًا مما ذكرهُ أهلُ العلمِ رحمهم الله تعالى؛ فيما يجبُ للعالمِ على الناسِ، وهذا الأمرُ مهمٌ فإنَ الناسَ إذا لمْ يكنْ عندهمْ علماءُ فقدوا خيرًا عظيما؛ ولذلك قال بعضِ أهلِ العلمِ وأظنهُ شعبة بن

الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ قالَ: «إنَ الناسَ إذا ذهبَ أشياخهمْ وعلماؤهمْ فلا خير فيهم، فإن العالمِ في البلدِ كالسراجِ بأهلها، يضيءُ لهمْ فيهتدونَ بهِ إلى طريقِ الصوابِ منْ كلامِ اللهِ وسنةِ النبيِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

وقدْ روينا عند ابنْ ماجهْ أنَ النبيَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «يحملُ هذا العلمِ منْ كل خلف عدوله، ينفونَ عنهُ تأويلُ المبطلينَ»، إلى آخرَ الحديثَ عنهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولما تُلي هذا الحديث على الإمام أحمد سألهُ الميموني فقالَ أيصحُّ هذا الحديثِ؟ قالَ: نعم، قدْ رويناهُ منْ غيرِ وجهٍ، فبينَ الإمام أحمد أنَ هذا الحديثَ المروي صحيح؛ وذلكَ أنَ العلماءَ همْ العدولُ، وبهم يمحى الجهلُ وبهم يدرأ التأويلُ؛ وذلكَ منْ فضلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لمنْ أدركَ أحدًا منْ العلماءِ؛ فإذا ذهبَ الأشياخُ والعلماءُ فلا خيرَ فيهمْ.

❁ **الأمرُ الأول**: أولُ ما يجبُ علينا تجاهَ علمائنا وهوَ منْ أهمِ الواجباتِ الأخذُ عنهم، فإن العلمِ إنما بركتهُ بالأخذِ عن العلماءِ، وقدْ روى مسلم في مقدمة صحيحه عن عبدِ الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أميرُ المؤمنين في الحديثِ المتوفى سنةَ مئةٍ وواحد وثمانينَ منْ هجرةِ النبيِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«إن الإسنادِ من الدين، فإن قيلَ عنْ من بقي» فإن هذا الدين إنما يؤخذُ عن العلماءِ ولا يؤخذُ منْ الصحائفِ والكتب؛ ولذلك كان الإمامُ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقولُ: «منْ تفقه منْ بطونِ الكتبِ ضيعَ الأحكام»، وقدْ كانَ أهلُ العلمِ يحذرونَ منْ هذا البابِ حذرًا شديدًا.

العلمُ في الحقيقةِ إنما يتوارى، فيأخذهُ الأصاغرُ عنْ الأكابرِ، وقدْ روينا عند الطبراني من حديثِ ابن عباس أنَ النبيَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «لا تزالُ تبلغُ منْ العمرِ بخيرِ ما أخذوا العلم عنْ الأكابرِ»، وأما أهل الكتابِ فإنما يأخذون علمهم من صحفهم، ولذا دخلها التحريفُ، ودخلها التصحيفُ، ودخلها غيرُ ذلك من الآفاتِ التي تعتريهمْ.

❁ **الأمر الثاني**: الذي يجبُ علينا تجاه علمائنا أنْ نتواضعَ معهم، فإنَ منْ تواضع مع العالمِ استفادَ منهُ، ونالَ منهُ خيرًا عظيما، وقدْ جاءَ أنَ عبدَ الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كانَ يأتي زيد بن ثابت أو معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيمسك بزمامِ دابتهِ ويبيتُ عندَ بيتهِ حتى يستيقظَ فيجدهُ؛ فلما قالَ لهُ لما ذلكَ، قال: إن كذلك نفعلوا بعلمائنا، ولما حضرَ الإمامِ أحمد عند الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تواضع تواضعًا كبيرًا مع الإمام محمد بن إدريس الشافعي؛ فلما قيلَ لهُ في ذلكَ قالَ: «إنَّ أُمرنا أنْ نتواضعَ معَ علمائنا»، فمنْ تواضع في شيء بورك لهُ فيهِ، ولذلك قال الإمام الشافعي وهو إمام الأئمةِ في زمانهِ، وقدْ حكيَ الاتفاقُ على جلالة وعلوِ كعبهِ، قالَ: «أهينُ نفسي فهم يكرمونها، ولنْ تكرمَ النفسُ التي لا تهينها»، فمن أهانَ نفسهُ في أولِ الطلبِ في العلم كرمتْ بعدَ ذلكَ، ونالت ما أرادت.

❁ **الأمرُ الثالث**: الذي يجبُ علينا تجاهَ علمائنا، وأخص من ذلكَ طلبة العلمِ بالخصوصِ، وهوَ الأدبُ معَ علمائهم، واحترامهم، فيجب عليهم الأدبُ مع العلماء، والاحترام وتنزيلهم المنزلةَ العاليةَ؛ فكما أنَ أهلَ الفضلِ ممن أوتوا فضلاً وأدلوا بقرابةٍ يستحقونَ تقديرا؛ فإنَ منْ أدنى عليك بعلمٍ يستحقُ

التقدير والتعظيم، وقدْ جاءَ أن الشافعي رحمه الله تعالى كان يقول لما حضر عند مالك بن أنس يخبر عن حاله فيقول: «كنت إذا جلستُ في مجلس مالك اتصحف الورق تصفحا رقيقا، خشيةَ أن يسمعَ مالكُ صوت الورق، وذلكَ لهيبتهِ»، فلما فعل ذلكَ الشافعي قيدُ اللهِ جلَ وعلا من يفعل معهُ مثل ذلكَ، فجاءَ أنَ الربيع بن سليمان المرادي تلميذ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانَ يقولُ: «إني لأتهيبُ أنْ أشربَ الماء والشافعي ينظر إلى لمكانتهِ وقدرهِ».

ولذلك أيها الإخوة!! فإن من قدر شخصًا بالتقدير الشرعي من غير غلو ومن غير مجاوزة للحد، فإن من قدر شيئا وتواضع فيه فجمع هذين الأمرينِ فإنهُ يباركُ لهُ فيما فيهِ، ومما ذكروا أهلُ العلمِ في هذا البابِ وهوَ ما ذكرهُ الإمامُ أبو بكر الخطيب البغدادي عليه رحمة الله ذكرَ في كتابهِ في «أدب المحدث» وهوَ الجامع في الروايةِ وذكره كذلكَ في «الفقيه والمتفقه» قالَ: «إنَ طالبَ العلمِ معَ شيخهِ يجبُ ألا يكلمهُ بتاءِ المخاطبةِ، وإنما يكلمهُ بالجمعِ تقديرا لمكانة، وإذا ذكرَ شيخهُ في غيبتهِ فلا يسميه باسمهِ، وإنما ينعتهُ فيقولُ الشيخُ أوْ الحافظ أو غير ذلكَ من الأوصافِ المكفولةِ»، ومما يجيبُ على طالبِ العلمِ بالخصوصِ تجاه شيخة أنْ يصبرَ عليهِ عندَ جفوته، وقيل إن من لم يصبر على ذل التعلم بقي عمره كلهُ في ذلِ الجهلِ، فلابدَ منْ الصبر، والإنسانِ يطرأُ لهُ ما يطرأُ في ذلكَ، ومما يجبُ للعلماءِ على طلبةِ العلمِ بالخصوصِ يجب عليهمْ أنْ ينسبونَ الفضل لهمْ، فإن منْ نسب العلم لأهلهِ بوركْ لهُ فيهِ، وقدْ قالَ أبو عبدِ الله القرطبي في «تفسيرهِ الجامعِ»: «إنَ منْ بركةِ العلمِ أنَ ينسبُ إلى أهلهِ»، فمنْ نسب العلم إلى أهلهِ، ونقل فائدةً فذكرها ممنْ نقلها منهُ؛ فإن هذا منْ بركةِ العلمِ وهوَ منْ الواجبِ على الطالبِ لشيخهِ، وقد قالَ رزقُ اللهِ التميمي الحنبليَ المتوفى سنةَ أربعمئةٍ وتسعينَ أو بعدها بقليل، قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتلاميذهِ: «أنَ منْ العيبِ عليكم أنْ تستفيدوا منا ثمَ تذكرونا ولا تترحمونَ علينا»؛ لذلك فإنَ نسبةَ الفضلِ لأهلهِ والدعاءِ لمنْ أفاد منْ أعظمِ الفوائد، وقدْ قالَ شعبة بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشيخ إذا سمعت منه حديثًا فإني أكونَ لهُ عبدًا ما حييتْ»، المقصود في هذا كله أن الواجبات في هذا الباب طويلة وكثيرة، ولو أرادَ المرء أن يعدد كلّ ما في البابِ، وما ذكرهُ أهلُ العلمِ في هذا المقامِ لطال.

وسأختمُ حديثي في البابِ بما جاءَ عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في كلمةٍ طويلةٍ انتقي بعضها فيما يجب على للعالم على طلبة العلم خاصة، فقد قالَ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيما روي عنهُ قالَ: «إن منْ حقِ العالمِ عليكَ أن تسلم على القومِ عامة وأنْ تخصهُ بعدَ ذلكَ بالتحيةِ، قالَ ومنْ حقِ العالمِ عليك أن لا تجلس إلا أمامهُ، وألا تشيرَ عندهُ بيدكَ، ولا تقولن قال فلأن خلاف قوله، فلا تذكر خلافًا عنده، قالَ ولا تغتابًا عندهُ أحدا، ولا تطلبن عثرتهُ، وإنْ زلَ قبلتْ معذرتهُ، وعليكَ أن توقره لله، وإنْ كانت لهُ حاجةٌ فأسبقِ القوم إلى خدمتهِ، قالَ ولا تسّر أحدًا في مجلسهِ، ولا تلحُ عليهِ إذا كسل، ولا تشبعُ من طولِ صحبتهِ، فإنما هو كالنخلةِ تنتظرُ متى يسقطُ عليكَ»، هذا الكلام الجميل البديع الجليل من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهوَ إمام جليل معظم

أوتيَ الحكمة يدل على مكانةِ أهلِ العلمِ وما يجبُ عليهم، أو ما يجبُ للناسِ لأجلهم، هذهِ الآدابُ السبعِ أو الستِ التي ذكرتها قبل قليل هيَ آدابٌ تجب للخاصة من طلبةِ العلمِ للعلماء.

وأما عامةُ الناسِ فإنه يجب للعلماءِ عليهم حقوق، ومنْ هذهِ الحقوقِ على سبيلِ الإيجازِ، أولُ هذهِ الأمور أن يرجعوت لهم في المسائل وأن يسألوهم عندَ وجودها، وأن يردوا لهم الأَحكام، فإن منْ الردِ لكتابِ اللهِ وسنةِ رسولهِ ﷺ أن يُسألَ العلماء، ومن الواجبِ كذلك تجاهَ العلماء من عامة الناسُ، أن لا يقعوا في أعراضهم، وأن لا يتكلموا فيهم، فإن الغيبة في آحاد المسلمينَ محرمة، وفي خواصهمْ أشدَ جرما؛ ولذلك قالَ الإمامُ محمد بن مصلح في «الآدابِ الشرعيةِ»: «إنَ هذا البابِ –يعني– الوقيعةَ في الناسِ والغيبةِ بابٌ عظيم ويتساهلُ الناسُ في شخصين في من ولي أمرا من الأمراء وفيمن ظهر من العلماء، فيتوسع الناسُ في الوقيعة فيهم والكلام وكأن ذلك مباحا؛ وإنما الأمرُ بضدّ ذلكَ فالإثمُ فيهِ أعظمَ».

والأمر الأخير فإن من أعظم حقوق العلماء على عامة الناس، أن يجالس الناس العلماء، وأن يزاحمونهم في الركبِ، وقدْ روى الإمام مالك في أول كتابِ العلمِ في «الموطأ» عن لقمانَ الحكيم عليه السلام أنهُ أوصى ابنهُ فقالَ: «يا بنيَ عليكَ بمزاحمةِ العلماء في الركب فإنَ تكُ جاهلاً يعلموك، واللهُ جلَ وعلا يحيي القلوبَ بمحضر العلماء»؛ فالإنسانُ يجالسُ العلماء ويحضر مجالسهم، وقد رتب اللهُ جلَ وعلا على حضوري مجالسهم أجرًا عظيمًا وكفى بحث الملائكةِ في ذلك فضل.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد،
وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى اللهُ وسلمَ على نبينا محمد.

ألقيت هذه المحاضرة ليلة الخميس الحادي عشر
من شهر رجب سنة ستة وثلاثين وأربع مئة وألف
بجامع الإمام تركي بن عبد الله –رحمه الله-
بالرياض حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.